الربيـــــع

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

خرجتُ أشهدُ الطبيعةَ كيف تُصبح كالمعشوق الجميل ، يقدّم لعاشقه إلا أسبابَ حبه !

وكيف تكون كالحبيب ، يزيد فى الجسم حاسةَ لمس المعانى الجميلة !

وكنت كالقلب المهجور الحزين ، وجد السماء والأرض ، ولم يجد فيهما سماءه وأرضه

ألا كم من آلاف السنين وآلافها قد مضت منذ أخرج آدم من الجنة !

ومع ذلك فالتاريخ يعيد نفسه فى القلب ؛ لا يحزن هذا القلب إلا شعر كأنه طُرد من الجنة لساعته

* * *

يقف الشاعر بإزاء جمال الطبيعة فلا يملك إلا أن يتدفّق ويهتزّ ويطرب

لأن السرّ الذى انبثق هنا فى الأرض ، يريد أن ينبثق هناك فى النفس

والشاعرُ نبى هـذه الديانة الرقيقة التى من شريعتها إصلاحُ الناس بالجمال والخير

وكلُّ حُسن يلتمس النظرةَ الحيـةَ التى تراه جميلاً لتعطيه معناه

وبهذا تقف الطبيعة محتفلة أمام الشاعر ، كوقوف المرأة الحسناء أمام المصور

* * *

لاحت لى الأزهارُ كأنها ألفاظُ حب رقيقة مُنَشّاة باستعارات ومجازات

والنسيمُ حولها كثوب الحسناء على الحسناء ، فيه تعبيرٌ من لا يستبيه

وكل زهرة كابتسامة تحتها أسرارٌ وأسرارٌ من معانى القلب المعقّدة

أهى لغةُ الضوء الملوّن من الشمس ذاتِ الألوان السبعة ؟

أم لغةُ الضوء الملوّن من الخد ، والشفة ، والصدر ، والنحر والديباج والحلى ؟

* * *

وماذا يفهم العشاقُ من رموز الطبيعة فى هذه الأزاهر الجميلة ؟

أتشير لهم بالزهر إلى أن عمر اللذة قصير ، كأنها تقول : على مقدار هذا ؟

أتعلمهم أن الفرق بين جميل وجميل كالفرق بين اللون واللون وبين الرائحة والرائحة ؟

أتناجيهم بأن أيام الحب صُوَرُ أيام لا حقائق أيام ؟

أم تقول الطبيعة : إن كل هـذا لأنك أيتها الحشرات لا تنخدعين إلا بكل هذا [1] .... ؟

* * *

فى الربيع تظهر ألوانُ الأرض على الأرض ، وتظهر ألوان النفس على النفس

ويصنع الماءُ صُنعَه فى الطبيعة فتُخرج تهاويلَ النبات ، ويصنع الدم صنعه فيخرج تهاويلَ الأحلام

ويكون الهواءُ كأنه من شفاهٍ متحابّة يتنفس بعضُها على بعض

ويعود كل شىء يلتمع لأن الحياة كلَّها ينبض فيها عرقُ النور

ويرجع كل حى يغنى لأن الحب يريد أن يرفع صوته

* * *

وفى الربيع لا يضىءُ النورُ فى الأعين وحدها ، ولكن فى القلوب أيضاً

ولا ينفذُ الهواءُ إلى الصدور فقط ولكن إلى عواطفها كذلك

ويكون للشمس حرارتان إحداهما فى الدم

ويطغى فيضانُ الجمال كأنما يراد من الربيع تجربةُ منظر من مناظر الجنة فى الأرض

والحيوان الأعجم نفسُه تكون له لفتاتٌ عقلية فيها إدراكُ فلسفة السرور والمرح

* * *

(١) ثبت أن ألوان الأزهار وعطرها وما فى ظاهرها وباطنها كل ذلك لاجتذاب الحشرات إليها كى تنقل اللقاح من زهرة إلى زهرة

وكانت الشمسُ فى الشتاء كأنها صورةٌ معلقة فى السحاب
وكان النهارُ كأنه يضيءُ بالقمر لا بالشمس
وكان الهواءُ مع المطر كأنه مطرٌ غير سائل
وكانت الحياة تضع فى أشياءَ كثيرة معنى عبوس الجوّ
فلما جاء الربيع كان فرحُ جميع الأحياء بالشمس كفرح الأطفال رجعت أمهم من السفر

* * *

وينظر الشباب فتظهر له الأرض شابة
ويشعر أنه فى معانى الذات أكثر مما هو فى معانى العالم
وتمتلئ له الدنيا بالأزهار ، ومعانى الأزهار ، ووحى الأزهار
وتخرج له أشعةُ الشمس ربيعاً وأشعةُ قلبه ربيعاً آخر
ولا تنسى الحياةُ عجائزها ، فربيعُهم ضوءُ الشمس . . .

* * *

ما أعجب سر الحياة ! كل شجرة فى الربيع جمل هندسى مستقل
ومهما قطعت منها وغيرت من شكلها أبرزتها الحياةُ فى جمال هندسى جديد كأنك أصلحتها
ولو لم يبق منها إلا جذر حيّ أسرعت الحياة فجعلت له شكلا من غصون وأوراق
الحياة الحياة . إذا أنت لم تفسدها جاءتك دائماً هداياها
وإذا آمنت لم تعد بمقدار نفسك ولكن بمقدار القوة التى أنت بها مؤمن

* * *

« فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها »
وانظر كيف يخلق فى الطبيعة هذه المعانى التى تبهج كل حى، بالطريقة التى يفهمها كل حى
وانظر كيف يجعل فى الأرض معنى السرور ، وفى الجو معنى السعادة
وانظر إلى الحشرة الصغيرة كيف تؤمن بالحياة التى تملأها وتطمئن ؟
انظر انظر ! أليس كل ذلك رداً على اليأس بكلمة : لا

طنطا

الاسلام كعامل فى المدنية

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

للأستاذ أحمد أمين

والمسألة الثانية هى « الثقافة الاسلامية » وأثرها فى المدنية
وأريد أن أكرر هنا ما أشرت اليه من أن الثقافة الاسلامية كانت أثراً من آثار العقيدة الاسلامية التى ألمتْ بها . فالقرآن رفع مستوى العقل الى درجة يستطيع فيها التفكير الصحيح بما حارب من خرافات وأوهام ، وعبادة أصنام ، وبما حث على النظر فى الكون ومراقبة تغيراته ، واختلاف مظاهره ، ودوام حركاته ، وبتوجيه العقل الى أن وراء كل المظاهر المختلفة وحدة ، فالناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم يرجعون الى أصل واحد هو آدم وحواء ، والبحار والأنهار المختلفة كلها ترجع الى ما أنزل من السماء من ماء ، والعالم كله يرجع الى وحدة الخالق « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » . فهذه الوحدة فى العالم تحمل على التفكير الصحيح والثقافة العميقة والنظر الفلسفى الروحى . فالقرآن من ناحية فك قيود العقل ، وهذا هو العامل السلبى ؛ ومن ناحية أخرى أخذ بيده ليشرف على العالم من مرقب عال ، وهذا هو العامل الايجابى

من أجل هذا كانت الثقافة الاسلامية نتيجة العقيدة الاسلامية لا نتيجة شىء آخر ، فان هى اتجهت الى الاستعانة بالفلسفة اليونانية والثقافة الفارسية والهندية ، فلأن الدين حملها على ذلك وطلب منها أن تتطلب العلم حيث كان ومن أى كائن كان

وقد بذر الاسلام فى نفوس أصحابه بذوراً تأصلت فيهم فكانوا إذا اقتبسوا من الفلسفة اليونانية أو أية ثقافة أخرى لم يكونوا مقلدين تقليدا صرفاً ، إنما كانوا دائماً يُعملون العقل فيما نقلوا ، ويعملون العقيدة الدينية فيما قرأوا . فاذا نظرنا الى ما كتب الفارابى وابن سينا وابن رشد رأيناهم لم يقفوا موقف التلميذ فحسب ، بل نقدوا وزادوا ووفقوا بين الفلسفة والدين وأمدوا كل شىء أخذوه بروح من عندهم ، فكان لثقافتهم طابع خاص وشارة تعرف بها — حتى هذا المنطق اليونانى الذى دانت له كل الأمم زاد الغزالى فى بعض كتبه فصولاً عن القرآن ؛ وابن تيمية وابن حزم وغيرهما نقدوا منطق اليونان وعدوه منطق شكل لا منطق مادة . وكان